ملحـق
العقيدة الواسطيَّة

بقلم
علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

مقدمة الملحق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أشار عليَّ بعض الإخوة الأفاضل أن أضم مع هذا الشرح المبارك أهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في ((العقيدة الواسطية))، وكذلك شارحها الشيخ محمد خليل هرَّاس، وذلك تسهيلاً لمن يُدَرِّسُ أو يَدْرُسُ هذه العقيدة.

وبعد تفكير طويل استجبت لرغبة الإخوة؛ بعد أن علمت أن كثيرًا ممن يدرسون ((العقيدة الواسطية)) يضطرون إلى أن يفتشوا في غيرها من كتب العقيدة ليستخرجوا منها ما لم يذكره شيخ الإسلام من مسائل مهمَّة في العقيدة، فأردت بهذه الزيادة (الملحق) إتمام أبواب العقيدة؛ بحيث يجد الباحث أو المدرس لهذه

المادة جميع أبواب العقيدة التي يحسن دراسـتها وتدريسها للناس، وجعلتها في ملحق خـاص آخـر الكتاب.

عملي في الملحق:

نظرت في المطبوع من كتب العقيـدة الـتي بين أيدينا, وطفقت أبحـث عـن مسـائل العقيـدة التي لم يذكرها شيخ الإسلام فـي ((الواسـطية))، فوجدتها لا تزيد عن تسع مسائل؛ كلها ذكرها أبـو جعفر الطحاوي رحمه الله في ((متنه)) المشهور، أو ذكرها شارحه ابن أبي العز، وهي كالتالي[1]:

1- الجماعة والفرقة.
2- الموالاة والمعاداة.
3- الحكم بغير ما أنزل الله.
4- عدم الخروج على الأئمة.
5- الميثاق.

---

[1] () لم أذكر في هذا الملحـق المسـائل المتعلقـة بالتوحيـد وأقسامه، والشـرك وأنـواعه؛ لأن هـذه المسـائل مظانُّهـا كتب التوحيد وشروحها، وبذكرها يتضاعف الكتـاب ويخـرج عن أصله. فليعلم.

6- الإسراء والمعراج.

7- أشراط الساعة.

8- الجنة والنار.

9- ذم الكلام ووجــوب التســليم لنصــوص الكتاب والسنة.

ولمــا كــانت هــذه المســائل التســع أهــم المسائل التي عدها مـن كتـب فـي العقيـدة مـن أبـواب العقيـدة، ولمـا كـانت كلها موجـودة كمـا أسلفت في ((شرح)) ابـن أبـي العـز لــ((العقيـدة الطحاويــة))؛ فقــد سِــرتُ علــى طريقــة تشــبه طريقة شيخ الإسلام في ((الواسطية)) وشــارحها الهراس؛ من حيث الاختصار والإيجاز، وذلك على النحو التالي:

أ - أذكر متن الطحاوي.

ب- أذكر في الهامش الموضع الذي ذكر فيه المتـن مـن ((شـرح الطحاويـة))؛ لابـن أبـي العـز الحنفــي (تحقيــق الألبــاني، الطبعــة الثامنــة)،

والموضع الذي ذكر فيه شـيخ الإسـلام نحـو كلام الطحاوي في أيٍ من كتبه.

ج - أذكر شرح ابن أبي العز لكلام الطحـاوي مختصرًا مع ذكر الصفحة.

د- علقـــت تعليقـــات يســـيرة، وخرَّجـــت الأحـاديث؛ متبعًـا الطريقـة نفسـها فـي أصـل الشرح.

هـ- أدخلـت الآيـات والأحـاديث والمراجـع وغيرها في مواضعها من الفهارس العامة.

هذا؛ وأسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت فـي عملـي هـذا، وأن يكـون هـذا العمـل نافعًـا ومفيدًا للأساتذة والمربين الذين نـذروا أنفسـهم لتعليـم النـاس عقيـدة السـلف أهـل السـنة والجماعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلِّف

فصـل في الجمـاعة والفـرقة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَنَـرَى الْجَمَاعَـةَ حَقًّـا وَصَـوَابًا، وَالْفُرْقَـةَ زَيْغًـا وَعَذَابًا)[1].

الشرح: قــال تعـالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 512-517)، و((مجمـوع الفتـاوى)) (12/1-19 قاعـدة فـي الجماعـة والفُرقة وسبب ذلك ونتيجته).

2 () آل عمران: (103).

3 () آل عمران: (105).

شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[2]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

((إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين مِلّة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين مِلّة (يعني: الأهواء)، كلها في النار؛ إلا واحدة، وهي الجماعة))[4]. وفي رواية: قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))[5].

والأمورُ التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع، إذا لم تُردَّ إلى الله تعالى

---

1 () الأنعام: (159).
2 () هود: (118، 119).
3 () البقرة: (176).
4 () تقدم تخريجه (ص 93).
5 () تقدم تخريجه (ص 93).

والرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم؛ لم يتبيَّن فيها الحقُّ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيِّنة من أمرهم: فإن رحمهم اللهُ؛ أقرَّ بعضُهم بعضًا، ولم يبغِ بَعضُهم على بعضٍ؛ كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيُقر بعضهم بعضًا، ولا يَعتدِي، ولا يُعتدَى عليه. وإن لم يُرحَمُوا؛ وقعَ بينهم الاختلافُ المذموم، فبغَى بعضهم على بعض: إمّا بالقول؛ مثل تكفيره وتفسيقه، وإمّا بالفعل؛ مثل حبسه وضربه وقتله.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إمّا عادلون، وإمّا ظالمون ؛ فالعادل فيهم : الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره.

وأكثرهم إنما يظلمون، مع علمهم بأنهم يظلمون؛ كما قال تعالى: [illegible] (1).

---

(1) آل عمران: (19).

وإلاَّ؛ فلو سلكوا ما علموه من العدل؛ أقرَّ بعضُهم بعضًا؛ كالمقلِّدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نوابًا عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليه؛ فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدي عليه بقولٍ ولا فعلٍ؛ مثل أن يدَّعي أن قول مقلَّده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه مع أنّه معذور. اهـ

فصـل في الموالاة والمعاداة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُـــونَ كُلُّهُـــمْ أَوْلِيَـــاءُ الرَّحْمَـــنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُـمْ لِلْقُـرْآنِ)[1].

الشرح: قال تعالى: ﴿ أَلا إِنّ أَوْلِـيَـاء الـلّـهِ لاَ خَوْفٌ عَـلَـيْـهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُـونَ ﴿ الّـذِيـنَ آمَـنُـواْ وَكَـانُـواْ يَـتّـقُـونَ ﴿[2].

الوليُّ: من الوَلاية ــ بفتـح الـواو ــ الـتي هـي ضِـدُّ العـداوة؛ فـالمؤمنون أوليـاء اللـه، والله تعالى وليُّهم:

قال الله تعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِـيُّ الَّـذِينَ آمَنُـواْ يُخْرِجُهُـم مِّـنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَـآؤُهُمُ

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 357-362)، والفصـل الأول مـن كتـاب ((الفرقـان بيـن أوليـاء الرحمـن وأولياء الشيطان)) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

2 () يونس: (62، 63).

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ [1].

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[2].

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[4].

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله،وأن الله وليهم ومولاهم.

---

1 () البقرة: (257).
2 () محمد: (11).
3 () التوبة: (71).
4 () المائدة: (55، 56).

فـالله يتـولى عبـادَه المـؤمنين؛ فيحبُّهـم ويحبُّونه، ويرضـى عنهـم ويرضـون عنـه،ومـن عادى له وليًّا؛ فقد بارزه بالمحاربة.

وهذه الوَلاية من رحمته وإحسانه، ليست كوَلاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[1].

فالله تعالى ليس له وليٌّ من الـذُّلِّ، بـل للـه العـزَّة جميعًـا؛ خلاف الملـوك وغيرهـم، ممَّن يتولاَّه لذلِّه وحاجته إلى وليٍّ ينصره.

والولاية أيضًا نظير الإيمان، وتكون كاملـةً وناقصةً؛ فالكاملـة تكـون للمـؤمنين المتقيـن؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿ لَهُمُ

---

[1] () الإسراء: (111).

الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة [1].

فالوَلاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في مَحابِّهِ ومَساخِطِهِ.

فوليُّ الله: هو مَن والى اللهَ بموافقته في محبوباته والتقرُّب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال تعالى فيهم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [2]؛ فَالمتَّقُون يجعلُ اللهُ لهم مخرجًا مِما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضارّ، ويجلب لهم المنافع، ويُعطيهم الله أشياءَ يطولُ شرحها.

وقوله: ((**وأكرمُهم عندَ اللهِ أطوعُهم وأتبعهم للقرآن**)) : أراد: أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم.

---

1 () يونس: (62-64).

2 () الطلاق: (2-3).

قال تعالى: â إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم á [1].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض؛ إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب))[2].

فإنّ التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان؛ لا بفقرٍ ولا غنًى.

وقال رحمه الله تعالى:

(وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ)[3].

الشرح: وهذا من كمال الإيمان، وتمام العبودية؛ فإنّ العبادة تتضمن كمال المحبَّة

---

1 () الحجرات: (13).

2 () **(صحيح).** رواه أحمد في ((المسند)) (5/411)، والطبراني في ((الأوسط)) (5/305/رقم 3116 مجمع البحرين)، والبزار بنحوه (2/224/رقم 1745 مختصر الزوائد)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (1/367 تحقيق العقل)، والألباني في ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 361).

3 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 383، 384).

ونهايتهـا؛ فمحبـة رسـل اللـه وأنبيـائه وعبـاده المؤمنين من محبة الله؛ فـإن المحـب يُحـبُّ مـا يُحـبُّ محبـوبُه، ويبغـض مـا يُبغـض، ويرضـى لرضائه، ويغضب لغضبه.

واللـهُ تعـالى يحـبُّ المحسـنين، ويحـبُّ المتقيـن، ويحـبُّ التـوَّابين، ويحـبُّ المتطهِّريـن، ونحن نحبُّ من أحبَّه الله.

واللهُ لا يحبُّ الخائنين، ولا يحبُّ المْفسـدين، ولا يحـبُّ المسـتكبرين، ونحـن لا نحبُّهـم أيضًـا، ونبغضهم؛ موافقةً له سبحانه وتعالى.

وفي ((الصحيحين)) عن النبي صلى الله عليه وآلـه وسـلم: ((ثلاثٌ مـن كـنَّ فيـه وَجَـدَ حلاوةَ الإيمان: مَن كـانَ اللـه ورسـوله أحـبَّ إليـه مِمَّـا سِوَاهما، ومَن كان يحـبُّ المـرءَ لا يُحبُّـه إلاَّ للـه، ومَن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقـذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار))[1].

---

[1] () رواه: البخاري فـي (الإيمـان، بـاب حلاوة الإيمـان)، ومسلم في (الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان).

فالمحبَّة التامَّة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته.

ومن المعلوم أنّ مَن أحبَّ اللهَ المحبةَ الواجبة؛ فلا بدَّ أن يُبغض أعداءه، ولا بدَّ أن يحبَّ ما يحبُّه من جهادهم؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1]، والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر؛ فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبًا من وجه، ومبغوضًا من وجه، والحكم للغالب. اهـ

---

[1] () الصف: (4).

فصل في الحكم بغير ما أنزل الله

قال ابن أبي العز شارح الطحاوية[1]: ((وهنا[2] أمر يجب أن يُتفطَّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملّة،وقد يكون معصيةً كبيرةً أو صغيرةً، ويكون كفرًا: إما مجازيًّا، وإما كفرًا أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحكم: فإنه إن اعتقد أنّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخيَّر فيه، أو استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفرٌ أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة[3]، وعدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحقٌّ للعقوبة؛ فهذا

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 323).

2 () ذكر الشارح هذا الكلام عند شرحه لقول الطحاوي: ((ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله...)). انظر: (ص 267).

3 () هو هنا رحمه الله يتحدث عن الوقائع والقضايا الحالَّة.

عاصٍ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًّا أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطائه؛ فهذا مخطئ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور)). ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((الفتاوى)): ((ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] ...))[3].

---

1 () المائدة: (50).
2 () النساء: (65).
3 () ((مجموع الفتاوى)) (35/407-408).

وقال أيضًا: ((وولي الأمر إن عرف ما جاء به الكتاب والسنة؛ حكم بين الناس به، وإن لم يعرفه وأمكنه أن يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، حتى يعرف الحق؛ حكم بهِ، وإن لم يمكنه لا هذا ولا هذا؛ ترك المسلمين على ما هم عليه، كل يعبد الله على حسب اجتهاده، وليس له أن يلزم أحدًا بقبول قول غيره، وإن كان حاكمًا.

وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا؛ فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما حكم قوم بغير ما أنزل الله؛ إلا وقع بأسهم بينهم))[1].

---

1 () (حسن). رواه ابن ماجة في (الفتن، باب العقوبات)؛ بلفظ: ((وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم))، وأوله: ((يا معشر المهاجرين))، ورواه أبو نعيم في ((الحلية)) (8/333)، وفي سندهما ابن أبي مالك، خالد بن يزيد، وهو ضعيف، ورواه الحاكم في ((المستدرك)) (4/540) بإسناد حسن. انظر: ((السلسلة الصحيحة)) (رقم 106).

وهذا من أعظم أساب تغير الـدول؛ كمـا قد جرى مثل هذا مرة بعد مـرة فـي زماننـا وغير زماننا.

ومن أراد الله سعادته؛ جعله يعتبر بما أصاب غيـره، فيسـلك مسـلك مـن أيَّـده اللـه ونصـره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهـانه؛ فـإن اللـه يقول في كتابه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

فقد وعد الله بنصر من ينصـره، ونصـره هو نصر كتـابه ودينـه ورسـوله، لا نصـر مـن يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بمـا لا يعلـم؛ فإن الحـاكم إذا كـان ديِّنًـا، لكنـه حكـم بغيـر علم؛ كان مـن أهـل النـار، وإن كـان عالمًـا؛ لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه؛ كان من أهل النار،وإذا حكـم بلا عـدل ولا علـم؛ كـان أولى أن يكون من أهل النار.

---

[1] () الحج: (40، 41).

وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًّا في دين المسلمين[1]، فجعل الحق باطلاً والباطل حقًّا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ونهى عما أمر الله به ورسوله؛ فهذا لون آخر ، يحكم فيه رب العالمين ، وإله المرسلين ، مالك يوم الدين، الذي ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2]، ﴿ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم))[4].

---

1 () شيخ الإسلام هنا يفرق بين الحكم في قضية معينة والحكم العام أو التشريع العام، واعلم أن الحكم في قضية أو قضايا معينة كفر وذنب عظيم، وهو من باب كفر دون كفر، أمَّا التشريع العام فنصوص العلماء قديمًا وحديثًا ـ بل قد نَقَل ابن حزم وابن القيم وابن كثير الإجماع ـ على أنه كفر أكبر مخرج من الملة، كثيرة جدًا، ويمكن جمعها في كتاب، لكن سأكتفي هنا بنقل بعضٍ منها.

2 () القصص: (70).

3 () الفتح: (28).

4 () انظر: ((مجموع الفتاوى)) (35/387-388).

أقوال العلماء في التشريع العام :

1- قول العلامة ابن حزم الأندلسي:

((**لا خلاف بين اثنين** من المسلمين .... وأن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأتِ بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام))[1].

2- قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((نُسَخُ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر))[2].

3- قول الحافظ ابن القيم:

((قالوا: وقد جاء القرآن **وصحَّ الإجماع** بأنَّ دين الإسلام نَسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنَّه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا

---

1 () ((الإحكام في أصول الأحكام)) (5/173)، دار الآفاق الجديدة، ط 1.

2 () ((مجموع الفتاوى)) (35/200) ـ بتصرف يسير.

حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام))[1].

4- قول الحافظ ابن كثير:

((من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك **كفر بإجماع المسلمين**))[2].

وقال في تفسير سورة المائدة (الآية: 50):ـ ((ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال[3] بلا مستند من شريعة الله.. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى

---

1 () أحكام أهل الذمة (1/259). قلت: إذا كان من اتبع التوراة أو الإنجيل عند ابن حزم وابن تيمية وابن القيم كافرًا؛ فكيف بمن اتبع القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر وحثالة عقولهم؟!

2 () البداية والنهاية (13/119).

3 () ليس هناك وصف للقوانين الوضعية أبلغ من هذا الوصف: ((آراء وأهواء واصطلاحات وضعها الرجال)).

حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليـل ولا كثير)).

فصل في عدم الخروج على الأئمة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَلاَ نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِـنْ أُمَّـةِ مُحَمَّـدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إِلاَّ مَن وَّجَبَ عَلَيْـهِ السَّـيْفُ. وَلاَ نَـرَى الْخُـرُوجَ عَلَـى أَئِمَّتِنَـا وَوُلاةِ أُمُورِنَـا، وَإِنْ جَـارُوا[1]، وَلاَ نَـدْعُو عَلَيْهِـمْ، وَلا نَنْـزِعُ يَـدًا مِـنْ طَـاعَتِهِمْ، وَنَـرَى طَـاعَتَهُم مِّـنْ طَاعَةِ اللـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، فَرِيضَـةً، مَـا لَـمْ يَـأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاَحِ وَالْمُعَافَاةِ)[2].

---

1 () أئمة المسلمين وولاة أمورهم هم من أقـاموا فيهـم الصلاة وحكموهم بشرع الله، ولم يُظهـروا الكفـر البـواح، وإن جاروا و ظلموا، أمَّا من لم يقيموا فيهم الصلاة ونبـذوا شرع الله خلفهم وحكَّمـوا فيهـم غيـره؛ فلا إمامـة لهـم ولا ولاية ولا كرامة.

الشرح: ((في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآلـه وسـلم؛ أنـه قـال: ((لا يحِـلُّ دَمُ امـرئٍ مُسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسـول اللـه؛ إلا بإحدى ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفس بـالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))[1].

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2].

وفي الصحيح عن النبي صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم؛ أنـه قـال: ((مَـن أطـاعني؛ فقـد أطاع الله، ومـن عصـاني؛ فقـد عصـى اللـهَ، ومَن يُطع الأميرَ؛ فقـد أطـاعني، ومـن يعـصِ الأميرَ؛ فقد عصاني))[3].

---

2 () [illegible] : [illegible] (([illegible])) [illegible] (([illegible])) (181-29/179)، و((السياسة الشرعية)) له أيضًا.

1 () رواه: البخاري في (الديات، باب قول الله تعالى : [illegible] الآيـة)، ومسلم في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم).

2 () النساء: (59).

3 () رواه البخاري في (الجهاد، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به)، ومسلم في (الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية).

وعن أبي ذرٍّ رضي اللـه عنـه؛ قـال: ((إنّ خليلـي أوصـاني أن أسـمع وأطيـع، وإن كـان عبدًا حبشيًّا مُجدَّع الأطراف))[1].

وفـي ((الصـحيحين)) أيضًـا: ((علـى المـرءِ المسلمِ السمع والطاعة فيمـا أحـبَّ وكـره ؛ إلاّ أن يُؤمر بمعصيـة ، فـإن أمِـرَ بمعصيـة ؛ فـلا سـمعَ ولا طاعة))[2].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: ((خيـار أئمتكـم الـذين تحبُّـونهم ويحبُّـونكم، وتصـلُّون عليهـم ويصـلُّون عليكـم، وشـرار أئمتكـم الـذين تبغضـونهم ويبغضـونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)). فقلنا: يـا رسـول اللـه! أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: ((لا؛ مـا أقاموا فيكم الصلاة. ألا مَـن ولـي عليـه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله؛ فليكـره مـا

---

1 () رواه مسلم في (الإمارة، باب وجوب طاعة الأمـراء في غير معصية وتحريمها في المعصية).

2 () رواه البخـاري فـي (الجهـاد، بـاب السـمع والطاعـة للإمام)، ومسلم في (الإمارة، بـاب وجـوب طاعـة الأمـراء في غير معصية وتحريمها في المعصية).

يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعةٍ))[1].

فقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمّل قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2]؛ كيف قال: ﴿ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يُفْرَدون بالطاعة؛ بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله[3].

وأما لزوم طاعتهم وإن جارُوا؛ فلأنّه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإنّ الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس

---

1 () **(صحيح).** رواه أحمد في "المسند" (6/28)، ومسلم في (الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم).

2 () النساء: (59).

3 () قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (29/196)ـ ((الإمام العدل تجب طاعته فيما لم يُعلم أنه معصية، وغير العدل تجب طاعته فيما علم أنه طاعة)).

العمل؛ فعلينا الاجتهادُ في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129) ﴾[2].

فإذا أراد الرعيّةُ أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم؛ فليتركوا الظلم)) اهـ

---

1 () الشورى: (30).
2 () الأنعام: (129).

فصــل في الميثــاق

قال الطحاوي:

(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَـذَهُ اللـهُ تَعَـالَى مِـنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ)[1].

الشرح: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[2].

أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بنـي آدم مـن أصلابهم؛ شـاهدين علـى أنفسـهم أن اللـه ربهـم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو.

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 240-247)، و((مجموع الفتاوى)) (8/65).

2 () الأعراف: (172).

وقد وردت أحاديث في أخذ الذريَّة من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم:

فمنها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: ((إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان (يعني: عرفة)، فأخرج من صلبه كلّ ذريَّة ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلَّمهُم قُبُلاً؛ قال: ألستُ بربِّكُم؟ قالوا: بلى شهدنا...)) إلى آخر الآية[1].

وروى الإمام أحمد أيضًا عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: ((يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ؛ أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم. قال: فيقول: قد أردتُ منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في

---

1 () **(صحيح لغيره)** . رواه أحمد في ((المسند)) (1/272) ، وابن جرير في ((التفسير)) (15338-شاكر)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم 202)، وانظر: ((السلسلة الصحيحة)) (رقم 1623).

ظهـر آدم أن لا تشـرك بـي شـيئًا، فـأبيتَ إلا أن تشرك بي شيئًا)).

وأخرجاه في ((الصحيحين)) أيضًا[1].

فصـل في الإسـراء والمعـراج

قال الطحاوي رحمه الله:

---

[1] () رواه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم وذريته)، ومسلم في (صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا)، وأحمد في ((المسند)) (3/127، 129).

- اعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن أخذ الميثاق والإشهاد عليه من أمور الغيب التي لا تتخيلها عقولنا القاصرة، ويجب علينا الإيمان بهما كسائر الغيبيَّات، ومن أحسن من رأيته أوضح مشكلها وأبانه الشيخ حافظ حكمي في ((معارج القبول)) (1/84-94)، وللشيخ الألباني عند تخريج حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- السابق في ((السلسلة الصحيحة)) كلام جيد؛ فراجعه إن شئت.

(وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَـدْ أُسْـرِيَ بِـالنَّبِيِّ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ، وَعُـرِجَ بِشَخْصِـهِ فِـي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلاَ، وَأَكْرَمَهُ اللـهُ بِمَـا شَـاءَ، وَأَوْحَـى إِلَيْـهِ مَـا أَوْحَى، مَـا كَـذبَ الْفُـؤَادُ مَـا رَأَى، فَصَـلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى)[1].

الشرح: المعراجُ: مـن العُـروج؛ أي: الآلـة التي يُعرج فيها؛ أي: يُصعد، وهو بمنزلـة السُّـلّم، لكن لا يُعلم كيف هو، وحكمـه كحكـم غيـره مـن المغَيَّبات؛ نُؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعُرِجَ بشخصه فـي اليقظـة. وإنّ الإسـراء كـان مرّةً واحدةً بمكة بعد البعثة قبل الهجرة بسنة.

وكان من حديث الإسراء: أنه صلى الله عليه وآلـه وسـلم أسـريَ بجسـده فـي اليقظـة علـى الصـحيح، مـن المسـجد الحـرام إلـى المسـجد

---

[1] () انظر: شرح ((العقيدة الطحاوية)) (ص 223-226)، و((مجمـــــــــــــــوع الفتـــــــــــــــاوى)) (4/328، 5/256)، و((درء تعـارض العقـل والنقـل)) (5/354).

الأقصى؛ راكبًا على البراق، صحبه جبرائيل عليه السلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، ثم عُرج به إلى السماء الثانية، ثم إلى الثالثة والرابعة حتى السابعة، ورأى هناك عددًا من الأنبياء، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض الله عليه خمسين صلاةً، فرجع حتى مرَّ على موسى، فقال: بِمَ أمِرْت؟ قال: بخمسين صلاة. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك؛ ارجعْ إلى ربك؛ فاسأله التخفيف لأمتك. فوضع عنه عشرًا، ثم نزل حتى أتى موسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك؛ فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردَّد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع، وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييتُ من ربي،

ولكن أرضى وأسلم. فلمَّا نفذَ؛ نادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي، وخففتُ عن عبادي[1].

وفي رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه عزَّ وجلَّ اختلاف، والصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه.

ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة: قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾[2]، والعبد عبارةٌ عن مجموع الجسد والروح؛ كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود

---

1 () جزء من حديث رواه البخاري في (بدء الخلق، باب ذكر الملائكة)، وفي (مناقب الأنصار، باب المعراج)، ورواه مسلم في (الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ).

2 () الإسراء: (1).

البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوّة، وهو كُفر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

فالجواب ـ والله أعلم ـ: أن ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى الرسول المعراج حين سألَتْه قريشٌ عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلوِّ لله تعالى من وجوهٍ لمن تدبَّره، وبالله التوفيق. اهـ

□□□□□□

فصل في أشراط الساعة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ[1]؛ مِنْ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا)[2].

قال الشارح: عن حذيفة بن أسيد؛ قال: اطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا

---

1 () الشرط هو العلامة، والساعة القيامة، والمقصود بأشراط الساعة؛ أي: علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.
وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى صغرى وكبرى:
والصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة؛ كبعثة النبي ..
.

2 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 499-502)، و((مجموع الفتاوى)) (36/45).

ونحن نتـذاكر السـاعة، فقـال: ((مـا تـذاكرون))؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: ((إنها لن تقـوم حـتى تَرَوْن قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر: الدُّخَان، والدجَّال، والدابّـة، وطلـوع الشـمس مـن مغربهـا، ونـزول عيسـى بـن مريـم، ويـأجوج ومـأجوج، وثلاثـة خسوف: خسفٌ بالمشـرق، وخسـفٌ بـالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج مـن اليمـن؛ تطـرد النـاس إلـى محشـرهم)). رواه مسلم[1].

وفي ((الصـحيحين)) عـن ابـن عمـر رضـي الله عنهما؛ قال: ذُكر الدجال عند النبي صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، فقـال: ((إن اللـه لا يخفى عليكـم، إن اللـه ليـس بـأعور، وأشـار بيده إلـى عينـه، وإن المسـيح الـدجال أعـورُ عين اليمنى، كأنّ عينهُ عنبة طافية))[2].

وروى البخـاري وغيـرُه عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول اللـه صـلى

---

1 () **(صحيح).** رواه أحمد في ((المسند)) (4/6)، ومسلم في (الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة).

2 () رواه: البخاري في (التوحيد، باب قول الله تعالى: â وَلِـتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ، ومسلم في (الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه).

الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده؛ ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيضُ المال؛ حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها)). ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) ﴾[1] [النساء: 159].

وأحاديث الدجال وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم... يضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابَّة وطلوع الشمس من المغرب؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ

---

[1] () **(صحيح).** تقدم تخريجه (176).

تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تقومُ الساعة حتى تطلع الشمسُ من مغربها؛ فإذا رآها الناسُ؛ آمن مَن عليها؛ فذلك حين لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبل))[2].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو؛ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثًا لم أنسه بعدُ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابَّة على الناس ضحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛

---

1 () النمل: (82).

2 () رواه البخاري في (التفسير، باب ﴿ قُلْ هَلُمّ شُهَدَاءكُمُ ﴾ ومسلم في (الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان).

فالأخرى على إثرها قريبًا))[3]؛ أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجَّال ونـزول عيسى عليه السلام مـن السـماء قبـل ذلـك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمــور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهـم مألوفـة، وأما خروج الدَّابَّة بشكل غريب غير مــألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إيـاهم بالإيمـان أو الكفر؛ فأمر خـارجٌ عـن مجـاري العـادات، وذلــك أول الآيـات الأرضـية، كمـا أنّ طلـوع الشــمس مــن مغربهــا علــى خلاف عادتهــا المألوفة أول الآيات السماوية. اهـ

□□□□

[3] () رواه مسلم في (الفتن، باب خروج الدجّال ومكثه في الأرض).

فصــل في الجنــة والنــار

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَــانِ، لاَ تَفْنَيَــانِ أَبَــدًا وَلا تَبِيدَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَــقَ الْجَنَّــةَ وَالنَّــارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً، فَمَنْ شَــاءَ مِنْهُــمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَــدْ فُــرِغَ لَــهُ، وَصَــائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ, وَالْخَيْــرُ وَالشَّــرُّ مُقَــدَّرَانِ عَلَــى الْعِبَادِ)[1].

الشــرح: أمــا قــوله: ((**إن الجنــة والنــار مخلوقتان**))؛ فاتفق أهل السنة علـى أن الجنـة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولـم يـزل أهـل السنة على ذلك.

---

1 () انظر ((شرح العقيـدة الطحاويـة)) (ص 420-432)، و((مجموع الفتاوى)) (18/307).

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾[1]، وعن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[2]، ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[4].

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سِدْرَةَ المُنتهى، ورأى عندها جنّة المأوى؛ كما في ((الصحيحين)) من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: ((ثم انطلقَ بي جبرائيل، حتى أتى سِدْرَةَ المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي)). قال: ((ثم دخلت الجنّة؛ فإذا هي جنابِذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك))[5].

---

1 () آل عمران: (133).
2 () الحديد: (21).
3 () آل عمران: (131).
4 () النبأ: (21، 22).
5 () النجم: (13-15).

وقوله: «**لا تفنيان أبدًا ولا تبيـدان**»: هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنـى ولا تبيـد؛ فهـذا مِمّـا يُعلـم بالضـرورة أن رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به.

قـــال الله تعـالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1]؛ أي: إلاّ مدَّة مقامهم في القبور والموقف.

وقال ابنُ جرير الطبري: إنّ الله تعالى لا خُلـف لوعـده، وقـد وصـل الاسـتثناء بقـوله: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ؛ أي غير مقطوع، وعلى كل تقدير؛ فهـذا الاسـتثناء مـن المتشـابه، وقوله: ﴿ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ محكم، فنأخذ بالمُحْكم، وندع المتشابه إلى عالِمه.

---

[6] () رواه البخاري في (الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء)، ومسلم في الإيمـان، بـاب الإسـراء برسـول الله ﷺ).

[1] () هود: (108).

وقوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[2].

وقد أكّدَ اللهُ خلود أهل الجنّة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنّهم: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾[3]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممتَهُ إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ تبيَّنَ أنَّ المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنّة من مدَّة الخلود؛ كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت؛ فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة؛ كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن

---

1 () الرعد: (35).
2 () الحجر: (48).
3 () الدخان: (56).

يدخلُ الجنة ينعَمُ ولا يبأس، ويخلدُ ولا يمـوتُ))[1]، وقـوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: ((يُنـادِ مُنادٍ: يـا أهـل الجنـة! إنّ لكـم أن تصِـحُّوا فلا تسقموا أبدًا،وأن تشِبُّوا فلا تهرموا أبــدًا، وأن تحيَـوا فلا تموتـوا أبـدًا))[2]، وفـي حـديث ذبـح المـوت بيـن الجنـة والنـار: ((ويقـال: يـا أهـل الجنة! خلودٌ فلا موت، ويـا أهـل النـار! خلـودٌ فلا موتٌ))[3].

وأما أبديَّة النار ودوامُها؛ فإن اللـه تعـالى يُخرج منها مـن شـاء؛ كمـا ورد فـي السـنة، ويُبقي فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له.

---

1 () **(صحيح).** رواه: أحمد في ((المسند)) (15/190/رقم 8030 شاكر)، ومسـلم فـي (الجنـة، بـاب فـي دوام نعيـم أهل الجنة)؛ بلفظ: ((من يـدخل الجنـة؛ ينعـم ولا يبـأس؛ لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)).

2 () رواه مسلم فـي (الجنـة، بـاب فـي دوام نعيـم أهـل الجنــة) بنحــوه، وأحمــد فــي ((المســند)) (16/113/رقــم 8241-شاكر).

3 () رواه البخاري في (الرقاق، باب وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ)ومسلم في (الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء).

ومن أدلَّـة بقائهـا وعـدم فنائهـا:قـوله تعالى: ﴿ وَلَـهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1] ﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[2]، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[3] ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[4]، ﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[5].

وقد دلت السنة المستفيضـة أنـه يخـرج مـن النار مَن قال: لا إله إلا اللـه، وأحـاديثُ الشـفاعة صريحة في خـروج عُصـاة الموحِّـدين مـن النـار، وأنّ هذا حكمٌ مختصٌّ بهم؛ فلو خرج الكفار منهـا؛ لكـانوا بمنزلتهـم، ولـم يختـصَّ الخـروج بأهـل الإيمان.

وبقاءُ الجنَّة والنار ليـسَ لـذاتهما؛ بـل بإبقـاء الله لهما.

وقـوله: ((**وخلـقَ لهمـا أهلاً**)): قـال اللـه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

---

[1] () المائدة: (37).
[2] () الزخرف: (75).
[3] () النساء: (169)، والبينة: (8).
[4] () البقرة: (167).
[5] () فاطر: (36).

الْجِنِّ وَالإِنس [1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله خلق للجنّة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم))[2]، رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وقوله: ((**فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلاً منه، ومَن شاء منهم إلى النار عدلاً منه...**)) إلى آخره: مِمَّا يجب أن يُعلم أنّ الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح؛ فإنّه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾[3]، كذلك لا يعاقب أحدًا إلا بعد حصول سبب العقاب؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[4]، وهو سبحانه المعطي المانع، لا

---

1 () الأعراف: (179).

2 () رواه مسلم في (القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة)، وأحمد في ((المسند)) (6/41).

3 () طه: (112).

4 () الشورى: (30).

مانع لما أعطى، ولا معطيَ لما منع، لكن إذا مَنَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً ؛ بل يُعطيه من الثواب والقُرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطَر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك؛ فلانتفاءِ سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك حكمةٌ منه وعدلٌ؛ فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله، وأما المسببات بعد وجود أسبابها؛ فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسبابًا غير صالحة: إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع.

وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعطِ ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمةً منه وعدلاً؛ فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حالٍ، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل؛ فإن الله تعالى حكيم، يضع الأشياء في مواضعها

التي تصلح لها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[2]، ونحو ذلك. اهـ

---

[1] () الأنعام: (124).

[2] () الأنعام: (53).

فصل في ذم الكلام ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلاَمِ إِلاَّ عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ والاسْتِسْلامِ)[1].

الشرح: أي: لا يثبت إسلام من لم يسلِّم لنصوص الوحيينِ، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله؛ أنه قال: ((مِن الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم))[2].

وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ.

وقال الطحاوي:

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 201-203).

2 () رواه البخاري تعليقًا في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ.. ﴾).

(فَمَن رَام عِلْمَ مـا حُظِـرَ عَنْـهُ عِلْمُـهُ، وَلَـمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَـالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الإِيمَانِ)[1].

الشرح: هـذا تقريـرٌ للكلام الأول، وزيـادة تحذير أن يُتَكَلَّم في أصول الدِّين ـ بل وفي غيرها ـ بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما ضلّ قوم بعد هدًى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل، (ثم تلا) : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا

---

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 203-208)، و((مجموع الفتاوى)) (36/60).

2 () الإسراء: (36).

3 () الحج: (8-9).

جَدَلاًá [الزخرف:58]))ـــ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

ولا شك أن من لم يسلم للرسول؛ نقص توحيده؛ فإنه يقول برأيه وهواه، ويقلّد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول؛ فإنه قد اتَّخذه في ذلك إلهًا غير الله.

قال تعالى: â أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ ç[2]؛ أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق؛ كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوب
وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمِانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوب
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

---

[1] () **(حسن).** رواه الترمذي في (تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف)، وابن ماجة في (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل)، وأحمد في ((المسند)) (5/252، 256).

[2] () الفرقان: (43).

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلاَّ الْمُلُوكُ
وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهبَانُهَا

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة، بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه... ونحو ذلك.

والرهبان، وهم جهَّال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه

.

:

!

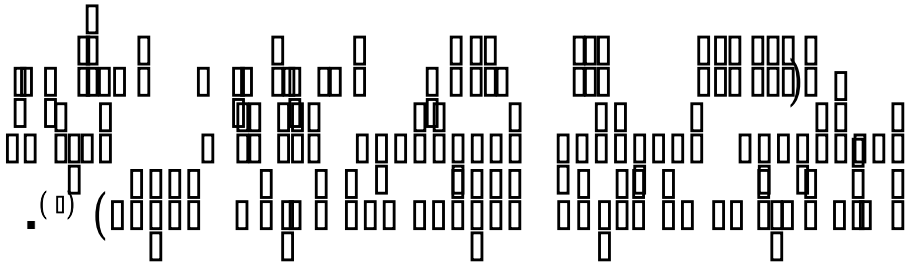

[illegible]

الشرح: هذه الحالة حال كل مَن عَدَلَ عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أرادَ أن يجمع بينه وبين الكتاب والسُّنّة، وعند التعارض يتأوَّل النصَّ ويردُّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيَؤول أمرُه إلى الحيرة والضلال والشك.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنّفه «أقسام اللذات»: «لقد تأمّلت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [2]، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ [3]، وأقرأ

---

[1] () انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص 208-210).

[2] () طه: (5).

[3] () فاطر: (10).

في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[2]».

ثم قال: «ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي».

وقال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به».

وقال عند موته: «لقد خضتُ البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموتُ على عقيدة أمي (أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور)».

ومن يصل إلى مثل هذه الحالة، إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا؛ تزندق.

قال الشافعي رحمه الله:

«حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر،

---

1 () الشورى: (11).
2 () طه: (110).

ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)).

وقال: ((لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ـ ما خلا الشرك بالله ـ خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام)). اهـ

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبيَّن له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم ــ إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب. اهـ

((انتهى الملحق بحمد الله وتوفيقه))

□□□□□□□□

□□□□□□

□□□□

□□